72



جواب سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن على خطاب التنصيب الذي ألقاه صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

مولاى صاحب الجلالة

اذا كانت الشجاعة التى رويتنى صغيرا من مناهلها جعلتنى لا أتهيب الكلام فى المجامع والتحدث فى المحافل فان جلال هذا الموقف وعظمة هذه الساعة ملآ قلبى هيبة وأوشكا أن يعقدا لسانى عن الكلام فلست أدرى – يامولاى – كيف أوفيك حقك من الشكر على ما أسديت وأنظم عقود الثناء على ما أوليت وأنا من قمة الرأس الى أخمص القدمين ثمرة أنعامك ونتيجة اجتهادك ، وهبنى يامولاى وجدت اللسان الناطق والتعبير الرائق الفائق فأى عوارفك أطرى وعلى أى مننك أثنى وكلها فى الكرامة والعظمة سواء لا تقبل أن تتقدم احداهما على الاخرى فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة من حياتى أقف بين يدى جلالتك متأثرا مشفقا لاحساسى بعبء المسؤولية التى قلدتنى اياها بالهام من العناية الالهية بالتماس من الحكومة المغربية وتعضيد من الشعب المغربى الذى افتخر بالانتماء اليه وأعتبر نفسى أحد أبنائه وخدامه ويزداد تأثرى واشفاقى كلما تأملت ما ينتظرنى من الجهد والعمل بالامانة العظمى التى تحملتها يامولاى ، وما تزال تتحملها بكفاءة عز نظيرها فاستحققت عليها هذه المحبة بل هذا الهيام الذى يكنه لك الشعب قاطبة . واخلاص الشعوب غاية لا تنال عفوا وانما هى ثمرة كد المسؤولين واجتهادهم المتواصل فى سبيل رفاهيتها وقد ألهمك الله سبيل المصلحة العامة وثبتك عليها فاجتمع لك ما لم يجتمع لملك قبلك الا نادرا ووجد فيك الشعب ضالته المنشودة وقدوته ونبراسه فاكتملت لديه حظوظ النجاح والتوفيق على يديك وبفضل هديك .

لقد توسمت يامولاى فى ابنك البار المخلص علامات التوفيق والوفاء بالامانة فأقررت ما أجمع عليه شعبك الوفى وأسندت الى ولاية العهد ورعاية الاسرة المالكة وفق التقاليد التى سار عليها الكثير من ملوك الاسلام وملوك

الدولة العلوية الكريمة وانني اذ أتمنى لك مديد العمر وطول البقاء لترى أمتك رافلة فى حلل العز والسعادة أعدك ببذل ما فـي المستطاع وفـوق المستطاع لاكون جديرا بهذه الثقة الغالية التى وضعتها فى ومع شعورى القـوى بثقـل المسؤولية التى أنطتها بى فان مما يخفف حملها عـلى ، استحضار سيرتـك الصالحة التى مكنت لك ولاسرتك هذا المقام المرموق فى أفئدة الجميع وهـذا الاعجاب الجم الذى أضحى أحدوثة الاقربين والابعدين

ان سجل أعمالك ـ يامولاى ـ ذخيرة لا تنفد وساستلهم منه كل ما ينير طريقى ويعيننى على القيام بالرسالة التى وضعتها على كاهلى ويساعدنى عـلى استحقاق هذا العطف الغالى الذى يحيطنى به شعبك الابى والذى هو فى الحقيقة قبس من وهاج نورك ساسعى ما وسعنى الجهد لاقتفاء سيرتك وترسم خطواتك فى سياسة أمتك والاقتداء بجميل معاملتك لكل فرد من أفراد رعيتك ولجميع من أسعدهم الحظ بالعمل تحت رعايتك أو التقرب اليك ويقينى اننى لن أضل سبيل الرشاد ـ بمعونة الله ـ ما بقيت على هديك سائرا وبتعاليمك متشبثا مستنيرا .

ثم ان عدتى فى الاضطلاع بالمسؤولية الجسيمة التى طوقت بها جـيدى يامولاى ـ هى هذه التربية التى لقنتنى اياها منذ نعومة أظفارى فحرصت كل الحرص على تشبع فكرى ووجدانى بها ، تربية جامعة بين غذاء الروح والعقـل والجسم مبنية على الاعتزاز بماضى هذه البلاد ووصل حاضرها بمئاثره لاشادة مستقبل حافل بالامجاد زاخر بالمكرمات .

قد ألهمت روحى من خلال شخصيتك الفذة قوة العزم ونقاء السريرة وحب الوطن والمحافظة على كرامة العرش والاخلاص للامة .

وهكذا بدأت النعمة التى أسديتها الى منذ رأيت نور الحياة فكانت ثورتك على الاساليب القديمة فى التربية والتهذيب وكانت عناية جلالـتك ساهـرة تحوطنى بكل ما يملاء نفسى ثقة بالله وحبالوطن ورعاية للشعب فكنت يامولاى ـ أول أب مغربى يثور على الاساليب العتيقة التى كانت تكل الطفل الى القابلة الجاهلة والمربية الغافلة وكنت أول أب مغربى يرقى بأبنائه من تعليم عقيـم قاصر الى تعليم عصرى يأخذ بوسائل الحضارة الحديثة بقدر ما يأخذ بتراثنا العربى الاسلامى وكنت أول أب مغربى لا ينيط مسؤولية التربـية والتعليـم بالمعلم أو الاستاذ فحسب ولكنه يتحمل منها نصيبه الاوفى ولن أنسى ماحييت رعاية جلالتك وانا فى المدرسة الابتدائية لقد كانت توجيهاتك وحرصك أقوى

سند لى فى اجتياز مراحل الدراسة وأكبر مساعد لاساتذتى فى القيام بواجباتهم التربوية لقنتنى يامولاى البرور بالصغير واحترام الكبير وكنت تردد على مسمعى . ان المرء اذا صلح صلح لنفسه ولغيره والا فلا فائدة ترجى لشخصه ولغيره من عمله وان أنس لا أنسى — يامولاى — هذا المبدأ السامى الذى لقنته لى فى غير ما مناسبة حتى أصبح يجرى فى شراييني مجرى الدم : الشعب لم يكن فى يوم من الايام ملكا لرؤسائه والمسؤولين على مصيره وانما الملوك والرؤساء هم خدامه قد اختارتهم العناية الالهية ليسهروا على مصالحه وهم مسؤولون عنها .

هكذا علمتنى يامولاى — ان اكون رجلا قبل ان اكون اميرا ولئن كنت أدين لله بنعمة الحياة فان ما أملكه من فكر ورأى انما هو من رعايتك وحسن تعهدك وهو كل عدتى فيما انا مقبل عليه يقينا منى بان القصور والزخرف ظل زائل وان العمل الصالح باق لا يفنى ويعرف الشعب المغربى الكريم ان الاعداد الذى حرصت على ان تطبع به شخصيتى يقوم على الامتزاج بطبقات الشعب فكنت فى مراحل دراستى واوقات فراغى اختلط بابناء الشعب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم حتى اصبحت اشعر انى فرد من افراده نعمل جميعا يدا فى يد لصالح وطننا وامتنا وبالرغم عن اتجاه بعض النيات الى ايفادى الى الخارج ابى جلالة والدى الا أن يبنى لى مدرسة تحت سماء وطنى أطلب فيها العلم وأتلقى التربية رفقة أبناء جلدتى وعلى قرب من أمتى حرصا من جلالته على باحكام الاتصال بينى وبين أبناء الشعب ويعرف الشعب المغربى الكريم أن الاسرة المالكة لا تختلف عن الاسر الاخرى فالاب الذى يرعى هذه الاسرة يقف منها مثل الموقف الذى يقفه رب أسرة من الشعب حنان وعطف فى شدة وصرامة ولن أنسى ما حييت الدرس العملى الذى تلقيته من والدى وأنا أشرف على امتحان القسم الاول من الباكالوريا فقد أدرك أنى قصرت بعض التقصير فى واجباتى المدرسية فاستدعانى ليلقننى درسا عظيما اذ سألنى عن تاريخ أجدادنا من الملوك العلويين وعن تاريخ الملك الصارم مولاى سليمان وكيف أبعد أبناءه جميعا عن ولاية العهد لانه لم يجد فيهم رجلا صالحا للقيام بشؤن الامة وعين لذلك أصلح أبناء أخيه وقد قال جلالته : لن أقل صرامة وشدة من مولاى سليمان . ولذلك فالطريق أمامك واضحة وسأساعدك على سلوكها ، ان أمامك ثلاثة أشهر سجنا داخل المدرسة لن تبرحها ولن ترى أحدا من أفراد عائلتك وأصدقائك حتى تؤدى الامتحان بنجاح . لقد كان هذا الدرس من أعظم الدروس التى تلقيتها فى حياتى ، علمنى الاعتماد على النفس والانقطاع الى العمل والتخلق بالصبر

وامتحان الضمير . ولا زال عالقا بذهني ذلك الحديث الشجي الذى أسره جلالة والدى الى يوم ٢٥ يبراير ١٩٥١ يوم مر الشوط الاول من المؤامرة التى حيكت للمغرب فى شخص ملكه وتقهقرت أثناءها قو ىالشر الى حين وهــو حديــث يسعدنى أن أعيده على مسامعكم . قال لى : أتعرف ان هذه المعركة ستتكرر من جديد ؟ أتعلم لمن ستكون الغلبة فيها ؟ انى أرى انهم انما تأخروا اليوم ليعيدوا الكرة من جديد . وسيغلبون لا محالة لان القوة المادية فى أيديهم وكذلك جميع وسائل العمل . والشيء الذى أحببت أن أكاشفك به ، ان المعركــة ستكــون فاصلة ، واننى سأضع كل شيء فى الميزان ، سأضع نفسى وهذا العرش الذى أجلس عليه ، ومستقبل أبنائى وبناتي وكل ما أطلب منكم ياأبــنائى هــو أن تفهموا عملى هذا فقد تعرض فى الحياة ظروف تقتضى من الانسان الاختــيار وقد اخترت أن أكون على الدوام وفيا لهذا الشعب مهما كلف ذلك من تضحية

بهذه الروح دخلت مدرسة الحياة الى جانب والدى وهو يعالج مشاكــل الدولة مثلما يعالجها الاب الحنون فى غير ضعف ولا قسوة وقد كانت مصالح الامة عنده فوق كل اعتبار وبدأت الحياة العملية هذه ــ والعرش والامــة يجتازان المحنة الكبرى ــ فكنت أشهد فى جلالته الربان الحكيم الذى يحاول أن يجتنب العواصف والانواء فى صبر وحكمة وثبات وكنت أرى فيه المؤمــن بالله المعتقد فى رحمته وعد له المعتمد عليه فى غير تواكل ولا ضعف فكانــت سيرته فى أيام الشدة كما كانت فى أيام الرخاء خير درس يتلقاه الابن عــن والده . فى هذا الجو العاصف بدأت أمارس المسؤولية وشاركت والدى مرارة المحنة والنفى فبقى هو برا بأبنائه شفوقا على أمته ساهرا يقظــا عــلى مصالح شعبه .

وانتهت المحنة بالصبر الذى وعد الله بــه عباده المتقين وظفر المــغرب بالاستقلال والحرية بفضل تضحية الملك والشعب وبدأت كأمير وكفرد مــن أفراد الامة مسؤوليتى فى بناء هذا الاستقلال وكان من حسن ظن جلالتــه أن أسند الى مهمة ايجاد الجيش الملكى ومهمة رئاسة أركانه وهى مسؤولية ضخمة يزيد فى ضخامتها انها التجربة الاولى من نوعها فى عهد الاستقلال فكونا النواة الاولى لقواتنا المسلحة وكان الجيش ــ كما أراده جلالة الملك ــ مملوء حيوية ونشاطا مبدؤه الدفاع عن الامة والعرش وعقيدته بعد الايمان مجد الامة وحب الوطن والذود عن كيانه واستقلاله .

وكل ما أرجوه بعد تجربتى هذه أن أكون قد وفقت فى تأدية الرسالــة التى ناطها بى جلالة الملك .

وقد وقفت _ زيادة عما تقدم _ الى جانب والدى فى معظم شؤون الدولة وأهلنى لشرف النيابة عنه أثناء غيبته بأوربا فى الشتاء الماضى واجتزت أثناء هده المدة امتحانا كان رضاه _ على بعده _ دليل توفيقى _ وما توفيقى الا بالله العلى القدير .

واليوم شاءت ارادة جلالته _ استجابة لالتماس الحكومة وتأييد الامة _ أن تسند الى ولاية العهد وهى منة من الله أرجو أن أكون أهلالها وقادرا على تحمل مسؤوليتها . انها مسؤولية مزدوجة مسؤولية نحو الاسرة الكبرى أمتنا المغربية المجيدة ومسؤولية نحو الاسرة المالكة ، ان رعاية هذه الاسرة التى قدمت للمغرب أمجادا خالدة طوال القرون الثلاثة الماضية _ من أقدس الواجبات التى تعهد بها جلالة الملك والتى لقننا دروسا فى الوفاء لها وتعهد شؤونها وتقوية أواصر الود والحب بين أبنائها حتى تضرب المثل الاعلى للاسرة المغربية فى السمو الروحى والمعنوى وحتى تظل شعار الامة ورمزتكتلها ، وقد أوصانى جلالة والدى _ نصره الله _ بالبر بأخوتى وأهلى رغم حداثة سنى لما توسمه فى من مخايل الرجولة والبرور ، فجعلت ذلك نصب عينى ومن أهم واجباتى .

أما مسؤولياتى نحو الشعب فانى لا أستطيع أن أقدرها فأنا من الشعب واليه ، ان أمتنا تعيش فترة تحول خطير فى تاريخها الحديث انها تتحول من عهدالركود والخمول والاستعمار الىعهد الحركة والانطلاقوالحرية ولعهد الحرية أعباؤه ومسؤولياته ، انه يتطلب العمل المثمر والاسراع نحو الكمال فى جميع ميادين النشاط . ومسؤولية عهد الحرية تتطلب منا جميعا أن نخلص الوفاء لامتنا وأن نعمل على المحافظة على هذه الحرية التى أدركنا وأن نسعى جميعا للتشبث بالاستقلال الذى حصلنا عليه بالتضحية الغالية التى ضرب جلالة الملك فيها أروع المثل وسن أحسن السنن والعمل العظيم الذى ينتظرنى لايمكن أن ينجز الااذا اتحدت الامة جميعها حول الافكار التى بثها جلالة الملك فيجب أن نكون جميعا يدا واحدة نؤدى عملنا فى شبه شركة تعاونية كل منا يقوم بواجبه لمصلحة الشركة لا أنانية فيه ولا رغبة فى الاستئثار ولكنه تضامن وتعاون وتضافر لمصلحة الدولة العليا وواجب أبناء الشعب جميعا نحو هذه المصلحة العليا أن لا يعيشوا فى عزلة عنا بل يراقبوا أعمالنا ويساهموا بعملهم وتكتلهم وارشادهم ونصيحتهم ، الارشاد والنصيحة والعمل المشترك ذلك هو واجب الشعب نحونا .

أما واجبنا نحوه فهو العمل الدائم لمصلحة الوطن وهو الاقتداء بجلالة الملك الذى جعل خدمة الشعب واجبا دينيا لا يقل عن أقدس الواجبات الدينية

وبذلك نحقق معاني الديمقراطية التي يسعى جلالته لتدعيمها في المغرب المستقل هذه بعض المسؤوليات العظمى التي أتحملها اليوم نحو جلالة الملك ونحو الامة والاسرة المالكة ، واني لاشعر من أعماقي انني لم أقدم للامة ولو جـزء مـن الخدمات الجليلة التي مايزال جلالته يقدمها لامته منذ اعتلائه عرش أسلافـه الاكرمين ، ومع هذا ورعيا لارادة الشعب وحسن ظن جلالة الملك وثقته فانـي أتقبل هذا الشرف العظيم متكلا على معونة الله ومعتمدا على رعاية جلالة والدى اذ لا أستطيع أن أتصور اني أتحمل هذه المسؤولية دون رعايته وارشاده .

فاليك عهد الله يامولاى وعهد البنوة البارة أن أجعل ما تكرمت به عـلى دستورى الذى أتقيد به ودينى الذى أحافظ عليه الى أن ألقى الله فسأتحلى دائما بحلى الايمان وأرفل في مطارف محاسن الاسلام وسأحافظ على وحدة الوطـن واستقلاله وأبذل النفس والنفيس في تنمية موارده واعلاء شأن سكانه وسأكون من الشعب والى الشعب أسير فيه بالرفق ، وأحكم بالمعروف ، وأعمل على أن يحيى حياة رغيدة كريمة لا حرج فيها ولا عسر متقيدا بارادته متمسكا بعروته وسأكون بأسرتي بارا ، وباخوتي حفيا أصل رحمهم ، وأحمي شرفهم وأسير سيرته فيهم ،وأنزلهم من قلبي منزلة السواد من العين وسأعتز دائما بالانتساب الى الامة الاسلامية الكبرى ، فأحب لوطنها ما أحب لوطني وأتمنى لشعوبها ما أتمناه لشعبي وأوجز لك القول يامولاى ، لان الدمع يخنق نفسي ، فأقول لك ما قال الخضر لموسى ـ ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا . وكل رجائي يامولاى أن يطيل الله عمرك ويمد في حياتك ويمتعنا ببقائك ويثبـت قلوبنا بحبك ويزكي نفوسنا بطاعتك ويهدينا طريق موالاتك ومعاداة أعدائك ويجعلنا جنودك المطيعين وأعوانك المخلصين ويهبك العون منه والمدد حتى تروا بأعينكم أغراس أيديكم الزكية حلوة الثمار ، دانية القطوف ، والسـلام عـلى المقام الشريف ورحمة الله تكلاه وترعاه .

الرباط ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٧٦ الموافق ٩ يوليوز سنة ١٩٥٧